مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

أخبار البحتري

تأليف

أبي بكر محمد بن يحيى الصُّولي
المتوفى سنة ٣٣٥ هـ

وبآخرها: ذيل الأخبار
من رواية الصُّولي

حققها وعلق عليها

الدكتور صالح الأشتر
دكتور دولة في الآداب من باريس
أستاذ بالجامعة السورية

طبعة أولى عورضت بثلاث نسخ مخطوطة
١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

١ — البحتري ومصادرنا عنه

٢ — الصولي وكتبه

٣ — كتاب الأخبار وأصوله

٤ — عملنا في الكتاب وجمع ذيله

١

البحتري ومصادرنا عنه

١ — ليس سهلاً على الباحث أن يوجز الخطوط الكبرى في حياة البحتري ، ذلك أن الشاعر العباسيّ الكبير عاش ثمانين عاماً ، قضاها كلها في سفر دائب وتنقل مستمر، وسعيٍ وراء الممدوحين وأعطياتهم ، في كل بقعة من أرجاء الامبراطورية العباسية المترامية الأطراف ، برّها وبحرها ، وهو القائل[١] :

ولقد ركبتُ البحر في أمواجه ... وركبتُ هولَ الليل في بيّاس[٢]

وقطعتُ أطوال البلاد وعرضها ... مابين سَنْدانٍ[٣] وبين سِجاس[٤]

ولم يكن البحتري يعرف اليأس أو الملل أو التعب ، فهو يسهر الليل في صياغة فنه ليبيعه في نهاره بالمال الوفير ، يُنشده في قصور الخلفاء والوزراء ، وفي مجالس الأمراء والولاة والعمال، وفي دواوين الكتاب ومحافل الشعراء ، وهو يملأ جيبه بالمال حتى يتضخّم ، وإذا الفتى الشاعر الفقير الذي كان يمدح باعة البصل

---

١ – مخطوطة ديوان البحتري بالمكتبة الوطنية بباريس : الورقة ٢١٨ ظ .

٢ – بيّاس : مدينة شرقيّ أنطاكية قريبة من البحر (معجم البلدان : ٥١٧/١) .

٣ – سندان : مدينة في ملاصقة السند (معجم البلدان : ٢٦٧/٣) .

٤ – سجاس : بلد بين همذان وأبهر (معجم البلدان : ١٨٩/٣) .

والباذنجان في منبج أوّلَ أمره[١] ، يغدو أحد كبار الأثرياء في عصره ، يملك الضياع الكثيرة[٢] ، ويركب عند مسيره في موكب من عبيده[٣] !

أحبّ البحتري المال حباً جماً فأشقاه هذا الحب وأضناه : بحثاً دائباً عن الممدوحين وجوائزهم ، وتشكياً ملتاعاً من عمال الخراج وكتّابه ، وحرصاً قلقاً للاحتفاظ بأملاكه وانقاذ اقطاعاته من استرداد الدولة ومصادرتها لها ؛ غير أن حب البحتري للمال أسعد الأدب العربيّ ، وقدّم له عدداً من الآثار الفنية التي يُزهى بها ؛ وأسعد التاريخ أيضاً ، ففي ديوان البحتري مادة غنية نافعة لتأريخ القرن الذهبيّ الثالث والحضارة العربية الزاهية فيه .

* * *

٢ — عند مفترق الطرق التجارية القديمة بين حلب والفرات تقع منبج ، المدينة الجميلة التي ولد فيها البحتري سنة ٢٠٦ هـ من أب طائي وأمّ شيبانية ، فهو إذاً عربيٌّ صريحٌ في عروبته ، وقد أُتيح له أن ينشأ نشأة عربية خالصة ، في منبج وفي باديتها[٤] ، وأهل منبج — كما يؤكد الاصطخري[٥] — عربٌ كلهم ، وفي بادية منبج كانت قبائل طيىء تضرب على شواطىء الفرات ، وكان البحتريّ الصبي يتردد على

١ — انظر تاريخ بغداد : ١٣/٤٤٧ وابن خلكان : ٥/٧٤ .
٢ — انظر مايقوله الصولي في الخبر ٦٦ من هـذا الكتاب .
٣ — انظر العمدة : ٢ / ١٧٧ .
٤ — انظر الموازنة : ٢٠ .
٥ — انظر مسالك الممالك : ٦٢ .

مضاربها ، ويرضع من فصاحتها ويكتسب من طباعها [١] ؛ ومنبج وباديتها هما المدرسة التي زوّدت البحتريّ بثقافته الأولى ، إلى أن لقي أبا تمام .

كان توجيه أبي تمام لتلميذه البحتريّ مخلصاً ، فقد رعاه وأعدّه إعداداً كاملاً ليحلّ محله ، ويصبح أمير الشعراء من بعده [٢] ، ولا ريب في أن البحتري كان يملك من المزايا ماجعله بعد فترة وجيزة من وفاة أبي تمام ، يزاحم مناكب فحول الشعراء في بغداد ، وفيهم الحسين بن الضحاك [٣] وعلي بن الجهم [٤] ودعبل الخزاعي [٥] وابن الرومي [٦] ، ويتخطاهم جميعاً ويحتل الصف الأول ، ويصبح شاعر المتوكل .

شعر البحتري في المتوكل سجل ناطق بكل ماحفل به عهد الخليفة العباسي العاشر من حوادث ، إلى الصفحة الأخيرة الحزينة الباكية التي صوّر فيها الشاعر اغتيال المتوكل بسيوف الأتراك ، أمام عينيه [٧] ، في قصر الجعفري ، في مؤامرة لم يغب عنها ولده وولي عهده المنتصر [٨] :

١ – ابن رشيق يعد البحتري بدوياً من قرى منبج : العمدة ١ / ١٢٨ .

٢ – انظر الخبر : ١٦ .

٣ – شاعر مطبوع صحب الخلفاء من الأمين الى المستعين ، ولُقّي بالخليع لكثرة مجونه ، ويعد في الطبقة الأولى من شعراء القرن الثالث . مات ببغداد سنة ٢٥٠ هـ (انظر الأغاني : ٦ / ١٧٠ – ٢١٢ ومعجم الأدباء : ١٠ / ٥ – ٢٣ وابن خلكان : ١ / ٤٢٤ – ٤٢٦) .

٤ – انظر الخبر ١١٥ وحواشيه .

٥ – انظر الخبر ١٤ وحواشيه .

٦ – انظر الخبر ٦٨ وحواشيه .

٧ – انظر المسعودي : ٢ / ٣٩١ – ٣٩٤ .

٨ – انظر الخبر ٤٤ وحواشيه .

أكان وليّ العهد أضمر غدرةً فمن عجب أن وُليّ العهدَ غادرُهُ [١]

غير أن بشاعة الجريمة الدامية التي وقعت أمام البحتري لم تنفّره من القصور واربابها ، ففي أيدي هؤلاء المال والترف ، وعند البحتري موهبة للبيع !

ستقرأ مايرويه الصولي في هذا الكتاب من اخبار البحتري مع الخلفاء بعد المتوكل [٢] ، ولن تعجب لما يقصه عليك من تقلّبه مع الرياح ، فتلك مروءة ذكية من البحتري ، عرف كيف يحمي بها نفسه وثروته من الضياع والمصادرات ، في عصر يسهم الولد فيه بقتل أبيه ، وتسلم الأمّ ابنها إلى الموت [٣] !

وإذا لم يبق في قصور الخلفاء في بغداد مايُرضي نهم البحتري ويثير فنّه وشاعريته فإن في دمشق الأمير الطولوني خُمارَوَيْه ، وفي خزائنه أموال مصر والشام ، وهي كفيلة بإرضاء البحتري ليرفع صوته بتمجيد انتصارات خمارويه الحربية على الروم في الثغور ، ومدح كبار رجال دولته [٤] .

غير أنك لن تسمع من الصولي في هذا الكتاب شيئاً عن هذه المرحلة الأخيرة من حياة البحتري ، ويبدو أن أخبارها لم تصل اليه من دمشق ، أو هي لم تصل الى العراق آنذاك ، ولعلّ الصولي — أذا قدّرنا علمه بها — لم يكن قادراً على إذاعتها ،

١ — الديوان : ١ / ٢٨ — ٢٩ والقصيدة من الطويل يرثي بها المتوكل .

٢ — انظر الفصل الخامس من الكتاب .

٣ — هي قبيحة أم المعتز التي أسلمت ابنها للقتل ولم تنقذه بما لديها من أموال (انظر الطبري : ٧ / ٥٣٠ — ٥٣١ وابن الأثير : ٥ / ٣٤٣ — ٣٤٤) .

٤ — انظر رسالتنا (شاعر عربي من القرن الهجري الثالث : البحتري) .

فدمشق آنذاك كانت مزورّة عن بغداد ، والطولونيون فيها دعاة استقلال وانفصال عن الخلافة المركزية ، وكل تمجيد لخمارويه هو في حقيقته دعمٌ لهذه الميول الانفصالية التي ينكرها العباسيون ويخوضون الحروب من أجلها ، والمعتضد كان قبل الخلافة يقود الجيش العباسي ليقضي على خمارويه وأبيه ، ويرد الطولونيين عن الشام [١] .

هذا — فيما نحسب — هو سرّ بقاء هذه المرحلة الأخيرة من حياة البحتري مجهولة كل الجهل ، وهو أيضاً سرّ خلوّ أكثر نسخ ديوان البحتري ممّا قاله في بني طولون ورجالهم ، وإلى اليوم لايزال هذا الشعر مخطوطاً [٢] !

* * *

٣ — إذا استعرضنا اليوم ثبت المصادر التي تعيننا على تأريخ حياة البحتري ، مما سلم من التلف والضياع ، وجدنا أن الصولي أقدم مصدر وأهمه ، باستثناء تلك الأسطر القليلة التي تقرؤها في (طبقات الشعراء) لعبد الله بن المعتز ، والتي تروي لنا خبراً عن غلام من غلمان البحتري ، وهو خبر مشهور لاغناء فيه [٣] ؛ فالصولي بكتابه (أخبار أبي تمام) والكتاب الذي ننشره له اليوم أوّل مرة ، هو أقدم

١ — انظر الطبري : ٨ / ١٤٨ — ١٤٩ وابن الأثير : ٦ / ٥٨ .

٢ — المعروف أن دار المعارف بمصر ستصدر ديوان البحتري كاملاً ، من تحقيق الأستاذ حسن كامل الصيرفي ، وقد أطلعنا على مراحل عمله ، وفقه الله إلى انجازه ونفعنا به .

٣ — طبقات ابن المعتز : ١٨٦ — ١٨٧ .

مصادرنا عن البحتري وأوثقها ، وجميع الذين أرّخوا حياة البحتري بعد الصولي نهلوا من أخباره وتناقلوها ، نذكر منهم أبا الفرج الاصفهاني [١] والآمدي [٢] والعسكري [٣] والمرزباني [٤] في القرن الرابع ، والشريف المرتضى [٥] والخطيب البغدادي [٦] وابن رشيق [٧] في القرن الخامس، وابن عساكر [٨] وابن الجوزي [٩] في القرن السادس ، وياقوت [١٠] والشريشي [١١] وابن خلّكان [١٢] في القرن السابع ، واليافعي [١٣] في القرن الثامن ، والعبّاسي [١٤] في القرن العاشر ، وابن العماد [١٥] في القرن الحادي عشر .

والصولي أوثق مصادرنا عن البحتري ، ذلك أنه عاصره وعرفه وسمع منه

---

١ – كتاب الأغاني : ١٨ / ١٦٧ – ١٧٥ .
٢ – كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري (مواطن متفرقة) .
٣ – كتاب ديوان المعاني (مواطن متفرقة) .
٤ – كتاب الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء : ٣٣٠ – ٣٤٣ .
٥ – كتاب أمالي المرتضى : ١ / ٥٩٣ – ٥٩٥ .
٦ – كتاب تاريخ بغداد : ١٣ / ٤٤٦ – ٤٥٠ .
٧ – كتاب العمدة (مواطن متفرقة) .
٨ – تاريخ دمشق : مخطوطة الظاهرية الجزء ١٧ الورقة ٤٢٦ – ٤٣١ .
٩ – كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ٦ / ١١ – ١٤
١٠ – كتاب معجم الأدباء : ١٩ / ٢٤٨ – ٢٥٨ ومعجم البلدان (مواطن متفرقة) .
١١ – كتاب شرح مقامات الحريري : ١ / ٤٠ – ٤٤ .
١٢ – كتاب وفيات الأعيان : ٥ / ٧٤ – ٨٤ .
١٣ – مرآة الجنان وعبرة اليقظان : ٢ / ٢٠٢ – ٢٠٩ .
١٤ – معاهد التنصيص على شواهد التلخيص : ١ / ٢٣٤ – ٢٤٦ .
١٥ – شذرات الذهب في اخبار من ذهب : ٢ / ١٨٦ – ١٨٨ .

وقرأ عليه ، وعاش في بغداد ، في المواطن التي كان يرتادها البحتري ، وصحب الناس الذين كان البحتري يختلف اليهم ؛ وحديث ذلك يفصّله لنا الصولي في الفصل الأول من هذا الكتاب ، وفي مواطن متفرقة أخرى منه .

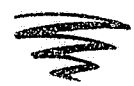

٢

الصولي وكتبه

١ ــ أبو بكر [1] محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين ، المعروف بالصولي ، نسبة إلى جدّه صول ، التركيّ الأصل .

---

١ – للصولي ترجمة في المصادر التالية :

١ – أنباه الرواة للقفطي : ٣ / ٢٣٣ – ٢٣٦

٢ – الأنساب للسمعاني : ٣٥٧ .

٣ – تاريخ ابن الأثير : ٦ ٣٢٤ .

٤ – تاريخ الاسلام للذهبي : وفيات ٣٣٥ .

٥ – تاريخ أبي الفـــداء : ٢ / ١٠١ .

٦ – تاريخ ابن كثير : ١١ / ٢١٩ – ٢٢٠ .

٧ – تاريخ الأدب العربي لبروكلمان : ١/١٤٣

٨ – تاريخ بغداد : ٣ / ٤٢٧ – ٤٣٢ .

٩ – دائرة المعارف للبستاني : ١١/٦٨ – ٦٩

١٠ – دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي : ٥/٥٨٩ – ٥٩٠

١١ – دائرة المعارف الاسلامية (مقالة لكراتشقوفسكي) : ٤/٥٦٧ – ٥٦٨

١٢ – روضات الجنات : ٦٠٩ – ٦١١ .

١٣ – سير النبلاء للذهبي (مخطوطة) : ١٠ / ٧٣ و .

١٤ – شذرات الذهب : ٢ / ٣٣٩ – ٣٤٢ .

١٥ – عيون التواريخ لابن شاكر (مخطوطة) ١٢ / ٧٥ ظ – ٧٦ و

١٦ – الفلاكة والمفلوكون : ١٠٣ .

١٧ – الفهرست لابن النديم : ٢١٥ .

١٨ – كشف الظنون : ٢٥ ، ٢٧ ، ٤٨ ، ٢٠١ ، ٢٨٣ ، ٥٨٨ ، ٦٩٢ ، ٧٦٦ ، ٧٧٠ ، ٧٧٤ ، ٧٧٩ ، ١٤٣٠ ، ١٤٦٩ .

١٩ – كنوز الأجداد لمحمد كرد علي : ١٤١ – ١٤٥ .

٢٠ – اللباب في تهذيب الانساب لابن الاثير : ٢ / ٦٣ – ٦٤ .

٢١ – لسان الميزان لابن حجر : ٥ / ٤٢٧ – ٤٢٨ .

٢٢ – مرآة الجنان : ٢ / ٣١٩ – ٣٢٥ . =

له أبوّة حسنة ، فجدّه صول كان هو وأخوه فيروز ملكي جرجان ، وكانا على المجوسية ، وقد أسلم صول إبّان الفتح العربي ، على يد يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة ، وصار من مواليه ، وبقي معه إلى أن قتلا يوم العقر .

وتقلّد أولاد صول بعده جلائل الأعمـــال السلطانية ، وكانوا رءوساً في الكتابة ، وكان بعضهم دعاة لبني العباس ؛ ونبغ حفيده الصولي في الكتابة والأدب حتى أصبح فيهما إماماً في عصره .

* * *

٢ ـــ لا نعرف شيئاً عن مولده وطفولته ، وأول ما يطالعنا من قصة حياته ، شبابُه في بغداد ، وهو يتردد على حلقات شيوخه في مساجدهم ، في أوائل الربـــع الأخير من القرن الثالث ، يدرس عليهم الحديث والفقه واللغة والأدب والشعر ، ويعبّ من علومهم وثقافاتهم في نهم واعٍ وشوق جاد إلى المعرفة ، وحرص على أخذها من أوثق مصادرها ، ومن حسن الحظ أن (أخبار البحتري) يتيح لنا أن نرى الصولي في درس للمبرّد ، في مسجده ، سنة ست وسبعين ومائتين ، وأن

٢٣ – معجم الأدباء لياقوت : ١٩ / ١٠٩ – ١١١ .
٢٤ – معجم الشعراء للمرزباني : ٤٦٥ – ٤٦٦ .
٢٥ – المنتظم لأبن الجوزي : ٦ / ٣٥٩ – ٣٦١ (وفيات ٣٣٦) .
٢٦ – النجوم الزاهرة لأبن تغري بردى : ٣ / ٢٩٦ .
٢٧ – نزهـــة الألباء : ٣٤٣ – ٣٤٥ .
٢٨ – هدية العارفين لاسماعيل البغدادي : ٢ / ٣٨
٢٩ – الوافي بالوفيات (مخطوطة) (مصورة المجمع رقم ٩٧ الورقة ١١٨) .
٣٠ – وفيات الأعيان : ٣ / ٤٧٧ – ٤٨١ .

نشهد جانباً من وعيه الأدبي ونشاطه الدراسي في قيامه عند مرور البحتري بالمسجد وقراءته عليه بعض القصائد من شعره ، ثم في حرصه على لقائه للقراءة عليه مرّاتٍ بعد ذلك[١] .

وأساتذة الصولي في ذلك الحين أعـــلام الثقافة في عصرهم ، يذكر الخطيب البغدادي[٢] منهم المبرّد[٣] وثعلباً[٤] وأبا العينـــاء[٥] محمد بن القاسم وأبا داود السجستاني[٦] وأبا عبد الله محمد بن زكريا الغلابي[٧] وأبا رُوَيق عبـــد الرحمن ابن خلف الضبي[٨] ومعاذ بن المثنى العنبري[٩] وأبا العباس الكُديمي[١٠] وغيرهم ، وكان الصولي يكتب مايسمع منهم ، ويقيّد مايملونه حتى تجمّعت له مكتبة كبيرة كل كتبها من سماعه وتصنيفه :

---

١ – انظر الخبر : ١

٢ – تاريخ بغداد : ٣ / ٤٢٧ .

٣ – انظر ترجمته في حواشي الخبر ١ .

٤ – انظر ترجمته في حواشي الخبر ٨٨ .

٥ – انظر ترجمته في حواشي الخبر ٧٣ .

٦ – أبو داود السجستاني : سليمان بن الأشعث ، امام اهـــل الحديث في زمانه ، أصله من سجستان ورحل رحلة كبيرة ، وتوفي بالبصرة سنة ٢٧٥ هـ وله كتاب السنن ، وهو أحد الصحاح الستة (تاريخ بغداد : ٩ / ٥٥ – ٥٩) .

٧ – محمد بن زكريا الغلابي البصري الأخباري ، ذكره ابن حجر في لسان الميزان : ١ / ١٦٨ .

٨ – عبد الرحمن بن خلف الضبي قدم بغداد وحدّث بها ومات سنة ٢٧٩ هـ (تاريخ بغداد : ١ / ٢٧٥) .

٩ – معاذ بن المثنى العنبري ، سكن بغداد وحدّث بها ومات سنة ٢٨٨ هـ (تاريخ بغداد : ١٣ / ١٣٦).

١٠ – محمد بن يونس ، أبو العباس البصري المعروف بالكديمي ، رحل في طلب العلم ، وسكن بغداد ، وكان حافظاً للحديث ، راوياً للغرائب مات سنة ٢٨٦ هـ (تاريخ بغـــداد : ٣ / ٤٣٥ – ٤٤٥ والمنتظم: ٦ / ٢٢ – ٢٣) .

« قال الأزهري[١] : سمعتُ أبا بكر بن شاذان[٢] يقول : رأيتُ للصولي بيتاً عظيماً مملوءاً بالكتب وهي مصفوفة ، وجلودها مختلفة الألوان ، كلّ صف من الكتب لون ، فصفٌ أحمر وآخر أخضر ، وآخر أصفر ، وغير ذلك ، قال : وكان الصولي يقول : هذه الكتب كلها سماعي » .

وهكذا اتسعت ثقافة الصولي فشملت أكثر علوم عصره ، وامتد أفق اطلاعه فغزرت مادته ، وظهر حذقه في تصنيف الكتب ، وكثرت محفوظاته ، فملأ كتبه بالمفيد من الأخبار .

* * *

٣ ــ من خلال كتب الصولي التي وصلت إلينا ، ومن النظر في أسماء كتبه الاخرى التي لم تصل إلينا ، يمكننا أن نرصد الأوجه المتعددة لثقافته .

كان الصولي ملماً بعلوم القرآن ، وقد ألّف كتاب الشامل في علم القرآن ، وقد أخذ الحديث عن كبار أئمته ــ كما رأينا ــ ورواه ، وله جزء في الحديث من مروياته[٣] ، ويذكر الخطيب البغدادي بعض الأحاديث المروية عن الصولي[٤] ، واتهمه بعضهم بالتصحيف في أحد الأحاديث :

---

١ ــ انظر تاريخ بغداد : ٣ / ٤٣١ .

٢ ــ محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن شاذان ، جمع من كلام أهل التصوف واكثر ، واتهم في روايته ، واخذ عن الصولي ومات سنة ٥٣٧٦ (لسان الميزان : ٥ / ٢٣٠ ، وتاريخ بغداد: ٥ / ٤٦٤-٤٦٥)

٣ ــ كشف الظنون : ٥٨٨

٤ ــ تاريخ بغداد : ٣ / ٤٢٧ - ٤٢٨ .

« قـــال محمد بن العباس الخزاز [١] : حضرتُ الصوليَّ وقد روى حديث رسول الله (ﷺ) : « من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال » ، فقال : «وأتبعه شيئاً من شوال » ، فقلتُ : أيها الشيخ ، اجعل النقطتين اللتين تحت الياء فوقها ، فلم يعلم ماقصدت ، فقلتُ : إنّما هو « ستاً من شوال » فرواه على الصواب » .

وكان الصولي مطلعاً على التاريخ ، حسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء، وأخبار الوزراء ومآثرهم ، وقد ألّف في التاريخ كتاب الأوراق وكتب فيـــه أخبار الراضي والمتقي ، كما ألّف كتاب الوزراء ، وأخبار القرامطة ؛ وابن النديم يتهمه بانتحال كتاب الأوراق [٢] :

« وهذا الكتاب عوّل عند تأليفه على كتـــاب المرثدي [٣] في الشعر والشعراء بل نقله نقلاً وانتحله ، وقد رأيتُ دستور الرجل في خزانة الصولي فافتضح به »

وكان الصولي أديباً ، حسن العلم بالأدب وأخبار الأدباء والشعراء ، وكتب الأدب مملوءة برواياته وأخباره عنهم ، وقد ألّف أخبار عدد من الشعراء كالفرزدق وابن هرمة والسيد الحميري والعباس بن الأحنف وأبي نواس وأبي تمام الطائي والبحتري ، كما كان نقّادة عالماً بالنقد الأدبي ، وفي كتاب (أخبار أبي تمام) وكتابنا

١ – تاريخ بغداد : ٣ / ٤٣١ .
٢ – الفهرست : ٢١٥ .
٣ – هو أبو أحمد بن بشر المرثدي كاتب الموفق ، وكتابه هو أشعار قريش (الفهرست : ١٨٧) .

هذا نماذج رائعة تدل على تذوق للأدب وانتباه إلى مواطن الجمـــال أو التكلف والرداءة فيه ، وفي كتاب (الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء) أكثرَ مؤلفُه المرزباني من الرواية عن اســـتاذه الصولي من نقده لعيوب الشعراء ، حتى « يكاد كتابه الموشح يكون من عمل الصولي [١] » ثم ان عمل المختـارات الشعرية من دواوين الشعراء ـــ وقد أكثر الصولي منها ـــ من صميم النقد الأدبي ، ذلك أنـه اصطفاء وتمييز وترجيح للفاضل على المفضول .

وكان الصولي شاعراً عالماً بالشعر ، مهتماً به أكبر الاهتمام ، وقد جمع دواوين عدد من الشعراء ورتبها على حروف المعجم ، وهي الدواوين الآتية [٢] :

ديوان ابن الرومي ـــ ديوان أبي تمام ـــ ديوان البحـــتري ـــ ديوان أبي نواس ـــ ديوان العباس بن الاحنف ـــ ديوان علي بن الجهم ـــ ديوان ابن طباطبا ـــ ديوان ابراهيم بن العباس ـــ ديوان ابن عيينه ـــ ديوان ابن شراعه ـــ ديوان الصنوبري ـــ ديوان دعبـــل بن علي الخزاعي ـــ ديوان ابن المعتز ـــ ديوان مسلم بن الوليد .

وكانت ثقافة الصولي (الديوانية) في الذروة ، وكتـــابه (أدب الكاتب) يعطينا فكرة واضحة عن معارفه الواسعة في الكتابة والإملاء والخط والترسّل ، وحساب الاموال والجزية والخراج .

١ ـ كلمة لهيورث دن في مقدمة الأوراق (قسم أخبار الشعراء) الصفحة : ك .

٢ ـ انظر الفهرست : ٢١٦ وكشف الظنون : ٧٦٦ ، ٧٧٠ ، ٧٧٤ ، ٧٧٩ .

وكان الصوليُّ أخيراً عالماً بالغناء وضروبه (وهو الذي ألّف أخبار اسحق الموصلي) وقد أهّلته هذه الثقافة الجامعة — الى مزاياه الاخرى — أن يتصدر للتدريس فيأخذ الكثيرُ عنه ، وأن يدخل قصور الخلفاء ، معلماً ونديماً .

* * *

٤ — أصبح الصولي في أوائل القرن الرابع إماماً في اللغة والأدب والعلوم الاخرى ، يقصده الطلاب لينهلوا من غزير علمه ، ويكتبوا الاخبار عنه ، ويسألوه عما يعرض لهم من مشاكل العلوم ، وكانت مكتبة الصوليّ الغنية تعينه على تزويد قاصديه بالمفيد من الثقافات ، وحلّ مايعرضون من المشكلات ، وقد وصف أحدهم ذلك بقوله [١] :

إنّما الصوليُّ شيخٌ أعلمُ الناس خزانهْ
إن سألناه بعلمٍ نبتغي عنه الإبانهْ
قال : ياغلمان هاتوا رزمة العلم فلانهْ

وكان الصولي يُدعى إلى منازل بعض الهاشميين ، حيث تعقد الحلقات العلمية ، ويقرأ الصولي بعض الكتب على الحاضرين [٢] ، ويكفي دليلاً على إحسان الصولي في تعليمه أن نذكر من طلابه ، الذين رووا عنه ، أمثالَ المرزباني [٣] ، وفي (موشحه)

١ — معجم الأدباء : ١٩ / ١١١ ، (وهو يقول ذلك متهكماً ولكن لقوله من طرف آخر هذا المغزى)
٢ — تاريخ بغداد : ٣ / ٤٢٩ .
٣ — محمد بن عمران المرزباني ، أبو عبيد الله ، (٢٩٦ — ٣٨٤ هـ) راجع تاريخ بغداد : ٣ / ١٣٥ —

(ومعجمه) نقولُ كثيرة يرويها عن شيخه الصولي، وأمثالَ أبي الفرج الأصفهاني[١]، وفي (أغانيه) نحو ثلثمائة خبر كلها عن الصولي، وأبي الحسين الدّارَقُطني[٢]، وأبي بكر بن شاذان الذي وصف لنا — فيما تقدم — مكتبة شيخه، وغيرهم.

* * *

٥ — عرف الخلفاء للصولي قدره، فاتخذوه كاتباً ومعلّماً ونديماً، ويذكر المؤرخون أنه نادم المكتفي والمقتدر والراضي، وهو يروي لنا في (ذيل كتاب الأخبار) بعض ما كان يقع في منادمته للمكتفي، وما كان يجري في تلك المجالس[٣].

كان الصولي نديماً لامثيل له في عصره، جمع الظرافة والدماثة ولين الخلق، وأحسن العلم بآداب مخالطة الرؤساء والأشراف ومجالسة الخلفاء، وكانت ذاكرته الواعية المواتية تمدّه بفيض من الأخبار الطريفة التي تلذّها آذان مجالسيه وسُمّاره، وهو يروي من أشعار الشعراء مايلائم الحوادث الطارئة فيسحر بذلك ألباب

---

١٣٦ ومعجم الأدباء: ١٨ / ٢٦٨ — ٢٧٢ وابن خلكان: ٣ / ٤٧٥ — ٤٧٦ وانباه الرواة: ٣ / ١٨٠ — ١٨٤.

١ — أبو الفرج علي بن حسين الأصفهاني (٢٨٤ — ٣٥٦ هـ) (انظر معجم الأدباء: ١٣ / ٩٤ — ١٣٦ وابن خلكان: ٢ / ٤٦٨ — ٤٧٠).

٢ — أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، انفرد بالامامة في علم الحديث وتصدّر في آخر ايامه للاقراء ببغداد (٣٠٦ — ٣٨٥ هـ). انظر تاريخ بغداد: ١٢ / ٣٤ — ٤٠ وابن خلكان: ٢ / ٤٥٩ — ٤٦٠.

٣ — انظر ذيل الأخبار: الخبر ١٢٠ والخبر ١٢١.

الحاضرين [١] ، وهو — الى ذلك — شاعر محسن ، يرتجل الشعر أحياناً ، مادحاً ومتغزلاً ، ويزيد بذلك سامعيه بهجة وأنساً وإمتاعاً .

والصولي كان يملك قلوب الخلفاء بتجويده أعظم آلات المنادمة في ذلك العصر ، ذلك أنه كان واحد عصره في لعب الشطرنج ، وكان الخلفاء يجدون في ملاعبته متعة لاحدّ لها :

« حكى المسعودي [٢] أن الراضي أتى في بعض متنزّهاته بستاناً مونقاً ، وزهراً رائقاً ، فقال لمن حضره من ندمائه : هل رأيتم أحسن من هذا ؟ فكلٌّ أثنى وغالى في الثناء وذهب فيه الى مدحه ووصف محاسنه ، وأنها لايفي بها شيءٌ من زهرات الدنيا ، فقال الراضي: لعب الصولي بالشطرنج أحسن من هذا ومن كل ماتصفون! »

* * *

٦ — يبدو أن الصولي أصيب في أواخر سنوات حياته في بغداد بإضاقة مالية ، فليس يجد ماينفق ، يتقسّمه — كما يقول [٣] — جور الزمان ، وجفاءُ السلطان ، وتغيُّرُ الإخوان ، وهو نفسه يحدثنا عن اضطراره إلى الوقوف بباب أحد الوزراء شاكياً فقره وحاجته :

---

١ — انظر المسعودي : ٢ / ٤٩٨ — ٤٩٩ .

٢ — انظر مروج الذهب : ٢ / ٥٢٠ وابن خلكان : ٣ / ٤٧٩ .

٣ — رسالة الصولي الى مزاحم بن فاتك : أخبار أبي تمام : ٥٠ .